

اسمعوهم بلا مواربة: مخططات قادة إسرائيل ضد الفلسطينيين

كتبه: سماح سبعاوي . أكتوبر 2015

يبدو أن التاريخ في الأرض المقدسة عالقٌ في حلقة، ففي العام 2000 زار رئيسُ الوزراء الإسرائيلي السابق وزعيم المعارضة آنذاك، آرئيل شارون، الحرمَ القدسِي الشريف في استفزازٍ متعمدٍ تسبّبَ في اندلاع الانتفاضة الثانية، التي شذّت إسرائيلُ في إثرها عمليةً “الدرع الواقي” لسحق الاحتجاجات، والقضاء على المقاومة الفلسطينية. وفي المحصلة، قضى ما يزيد على 3000 فلسطيني ونحو 1000 إسرائيلي بين عامي 2000 و2004،

وخرجت عملية السلام عن مسارها بلا رجعة.¹

وبالنظر إلى العام 2015، نجدُ أن عملية السلام قد ماتت، وكلُّ ما أملاه الفلسطينيون في سنوات أوسلو الأولى تحولَ إلى يأس وخيبة أملٍ مريرة. فقد توسيعَ المستعمرات اليهودية، غير القانونية بموجب القانون الدولي، على الأرض الفلسطينية طوال سنين المفاوضات، حتى باتت تحيط بالمجتمعات الفلسطينية من كل جانب. ولا يزال الفلسطينيون يعيشون تحت الاحتلال، ويحرّمون حقوقَهم الإنسانية الأساسية، وي تعرضون يومياً لمضايقات من الجيش الإسرائيلي والمستوطنين المنظرفين المسلمين. وعلى سبيل المثال، قتلَ الجنودُ والمستوطنون الإسرائيليون 1951 طفلاً فلسطينياً منذ العام 2000، حسبما تقدّم الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال- فرع فلسطين.

وفي هذا السياق، لا يمكن النظر إلى زيارة وزير الزراعة الإسرائيلي، أوري آرئيل، إلى المسجد الأقصى، ثالث أقدس مكان في الإسلام، بصحبة عصبة من اليهود اليمينيين المتطرفين وبحماية القوات الإسرائيلية المسلحة، إلا كاستفزازٍ متعمدٍ لربما يهدف إلى إتاحة الفرصة للمتطرفين والمتشددين الإسرائيليين في الحكومة لإتمام المهمة التي بدأها شارون.

والتصریحات الصادرة من الحكومة الإسرائيليّة باللغة العبرية تؤيد هذه النظريّة.

تحدث نتنياهو في مؤتمر صحفي مؤخرًا بالعبرية حول الوتيرة الحثيثة التي شهدتها بناء المستوطنات في سنوات قيادته. وفي المؤتمر نفسه، أكد وزير الدفاع الإسرائيلي، موشيه يعلون، للصحفيين أن الاستيطان لم يتوقف ولو لدقيقة واحدة، وأن إسرائيل ظلت في موقع الهجوم منذ عملية الدرع الواقي، موضحاً بأن إسرائيل ما كانت تستطيع دخول المنطقة (أ) في العام 2000، وهي المنطقة التي استلمها الفلسطينيون في المرحلة الأولى من اتفاقيات أوسلو، في حين أن إسرائيل تشن عملياتها الآن في أي منطقة تشاء داخل الضفة الغربية (وكان بوسعيه أن يُضيف هنا: "بدعم أجهزة أمن السلطة الفلسطينية ومساندتها").

وفي المؤتمر، دعا يعلون القوات الإسرائيليّة إلى التيقظ إزاء هجمات الطعن الفلسطينيّة، وإلى تصفية الطاعن الإرهابي، وقاذف الحجارة الإرهابي، وأمثالهم على الفور. غير أن الخطاب لم يكن موجهاً للأجهزة الأمنيّة وحسب، حيث نقلت صحيفة جيروزاليم بوست عن يعلون دعوته المدنيّين إلى حمل السلاح، على غرار دعوة رئيس بلدية القدس نير بركت. وهناك أيضًا من يسمون بالوطنيّين، من أمثال يائير لبيد، يدعّمون سياسة القتل والتصفية.

إسرائييل "ماضيّ" بوضوح في تطبيق هذه الخطط، رغم احتجاج منظمات حقوق الإنسان، إذ قالت منظمة العفو الدوليّة إن بعض الحوادث المسجلة ترقى لدرجة الإعدام الخارج عن القانون، في حين أعربت منظمة هيومان رايتس ووتش عن قلقها إزاء إطلاق النار الإسرائيلي المتعمد على المتظاهرين الفلسطينيّين. وثمة لقطات مرعبة تُظهر الرعاع اليهود الإسرائييليين يهاجمون فلسطينيين عُزَّل، مثل فادي علون، مثل فادي علون، ويقتلونهم. وخلافاً لادعاء إسرائييل بأن تحريض السلطة الفلسطينيّة هو السبب الرئيس في الانفراط، فإن الواقع على الأرض يحكى روایةً مختلفة.

أولاً، المحتجون لا يقتصرُون على الفلسطينيّين القابعين تحت الحصار والاحتلال العسكري في الأرض الفلسطينيّة المحتلة، بل بينهم أيضًا فلسطينيون يارزون يحملون الجنسية الإسرائيليّة. ومنهم أيمان عودة، عضو الكنيست والقيادي في القائمة المشتركة، حيث يتهم حكومة إسرائييل بأنها تعمل "في خدمة المستوطنين فيما يبدو كمحاولة متعمدة لحربيّة المنطقة برمتها كي تدخل في حرب دينية".

يجب ألا نستهين بما قاله أيمان عودة. فإسرائييل، باتأثير الصراع على أنه حرب دينية، تخفي جهودها الرامية لفرض سيطرتها التامة على فلسطين التاريخية كاملةً، بموافقة وتقدير المجتمع الدولي ودول مجاورة مثل مصر والأردن.

إن من الأهمية بمكان ألا نتجاهل تداعيات الإجراءات الإسرائيلية على جنبي الخط الأخضر الذي يفصل بين إسرائيل وبين الأرض الفلسطينية المحتلة. فقد شهدت الأيام الأخيرة احتجاجات واسعة ومظاهرات في عدد من المدن الفلسطينية داخل إسرائيل. وفي إحداها، ألقى المتظاهرون الحجارة والمفرقعات على الشرطة الإسرائيلية. وهؤلاء جيلٌ من الفلسطينيين ولدَ في كنف العلم الإسرائيلي، ويتكلّم العبرية بطلاقة، ويحمل الجنسية الإسرائيلية، وهو يقود الاحتجاجات. فلعقودٍ من الزمن عاش هؤلاء كمواطنين من الدرجة الثانية، محرومِين من حقوق عديدة لا تُذْهَب سوى للإسرائيليين اليهود. لذا فإنهم محبطون بسبب التمييز المنهجي الممارس بحقهم، ويقفون صفاً واحداً مع الفلسطينيين على الجانب الآخر من الخط الأخضر.

فقد الفلسطينيون الخاضعون للاحتلال العسكري الإسرائيلي أيَّ أملٍ في دولةٍ ذات سيادة. وثمة رسالةٌ واضحةٌ يرسلها الشباب الفلسطيني لمحبتهم وقادتهم على حد سواء، وهي أنهم عاكفون على أخذ حقهم بأيديهم والمطالبة بحقوقهم الإنسانية الكاملة بأي ثمن.

ولا يتورع الشبان الفلسطينيون، حتى حينما قد تعني المواجهة مع الجنود الإسرائيليين الموت الفوري، كما في غزة، أن يتظاهروا احتجاجاً على الهجمات التي تستهدف مقدساتهم وإخوانهم الفلسطينيين. وثمة إقرارٌ واسع بأن إسرائيل قد حولَت غزة إلى معسكر اعتقال، بحسب وصف رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون قبل خمس سنوات. فشباب غزة حين يقتربون من الحدود ويلقون الحجارة على الجنود يحلمون بالتحرر من هذا السجن أو الموت وهم يحاولون. ولغاية منتصف تشرين الأوّل/أكتوبر، لقي تسعة شبان فلسطينيين حتفهم في غزة في هذه المحاولة اليائسة.

وفي حين لم يتدخل القادة الفلسطينيون، قالت إسرائيل بوضوح إنها تتوقع من أجهزة الأمن الفلسطينية أن تتعاون مع الجيش الإسرائيلي لسحق الاحتجاجات، وقد ظلت السلطة الفلسطينية برئاسة محمود عباس لغاية الآن منصاعةً في الغالب.

أمّا حكومة حماس، حكومةُ الأمر الواقع في غزة، فصرَّحت بأنها تفضل عدم الانجرار إلى الثورة، حيث عارض نائبُ رئيس مكتبه السياسي موسى أبو مرزوق إطلاقَ الصواريخ على إسرائيل بشدة لأنَّ شأن ذلك أن "ينقلَ الحملةَ إلى جبهةٍ مختلفة، ويُخْمد الانتفاضة الشعبية". ومع ذلك، أقدمت بعض الجماعات المسلحة الأخرى في غزة على إطلاق بضعة صواريخ على إسرائيل لم تُسفر عن إصابات. وردَّت إسرائيل بغازٍ جويٍّ راحت ضحيتها امرأةٌ حامل وابنتها ذات الأعوام الثلاثة. وقد انتشر مقطعٌ مصورٌ للأب وهو يبكي ابنته الميتة، ويرجوها أن تستيقظ، مما حفزَ المزيد من الدعوات للثورة ضد القمع والوحشية



الإسرائيلية.

الشباب الفلسطينيون اليائسون الذين عاشوا في ظل الاحتلال والحصار طوال حياتهم، بلا أملٍ في المستقبل، يخاطرون بأرواحهم في قتالهم من أجل الحرية. ولكن ما الذي يقاتل الإسرائيليون من أجله؟ وبعد أن بددت إسرائيل كل الفرص لإقامة دولة فلسطينية، تقاتل إسرائيل لإدامة الاحتلال الشعب الفلسطيني وإخضاعه، وتُقيم دولة فصلٍ عنصري على الأراضي الخاضعة لسيطرتها.

1. تتوفر كافة إصدارات الشبكة باللغتين العربية والإنجليزية (اضغط/ي [هنا](#) لمطالعة النص بالإنجليزية). لقراءة هذا النص باللغة الفرنسية، اضغط/ي [هنا](#). تسعد الشبكة لتتوفر هذه الترجمات ونشكر مدافعي حقوق الإنسان على هذا الجهد الدؤوب، ونؤكد على عدم مسؤوليتها عن أي اختلافات في المعنى في النص المترجم عن النص الأصلي.

الشبكة شبكة السياسات الفلسطينية هي منظمة مستقلة وغير ربحية. توالف شبكة السياسات الفلسطينية بين محللين فلسطينيين متعددي التخصصات من شتى أصقاع العالم بهدف إنتاج تحليلات سياسات نقدية، ووضع تصورات جماعية لنموذج جديد لصنع السياسات لفلسطين والفلسطينيين حول العالم. تسمح الشبكة بنشر موادها كافة وتعيمها وتداولها بشرط نسبتها إلى "الشبكة: شبكة السياسات الفلسطينية". إن الأراء الفردية لأعضاء الشبكة لا تعبر بالضرورة عن رأي المنظمة ككل.